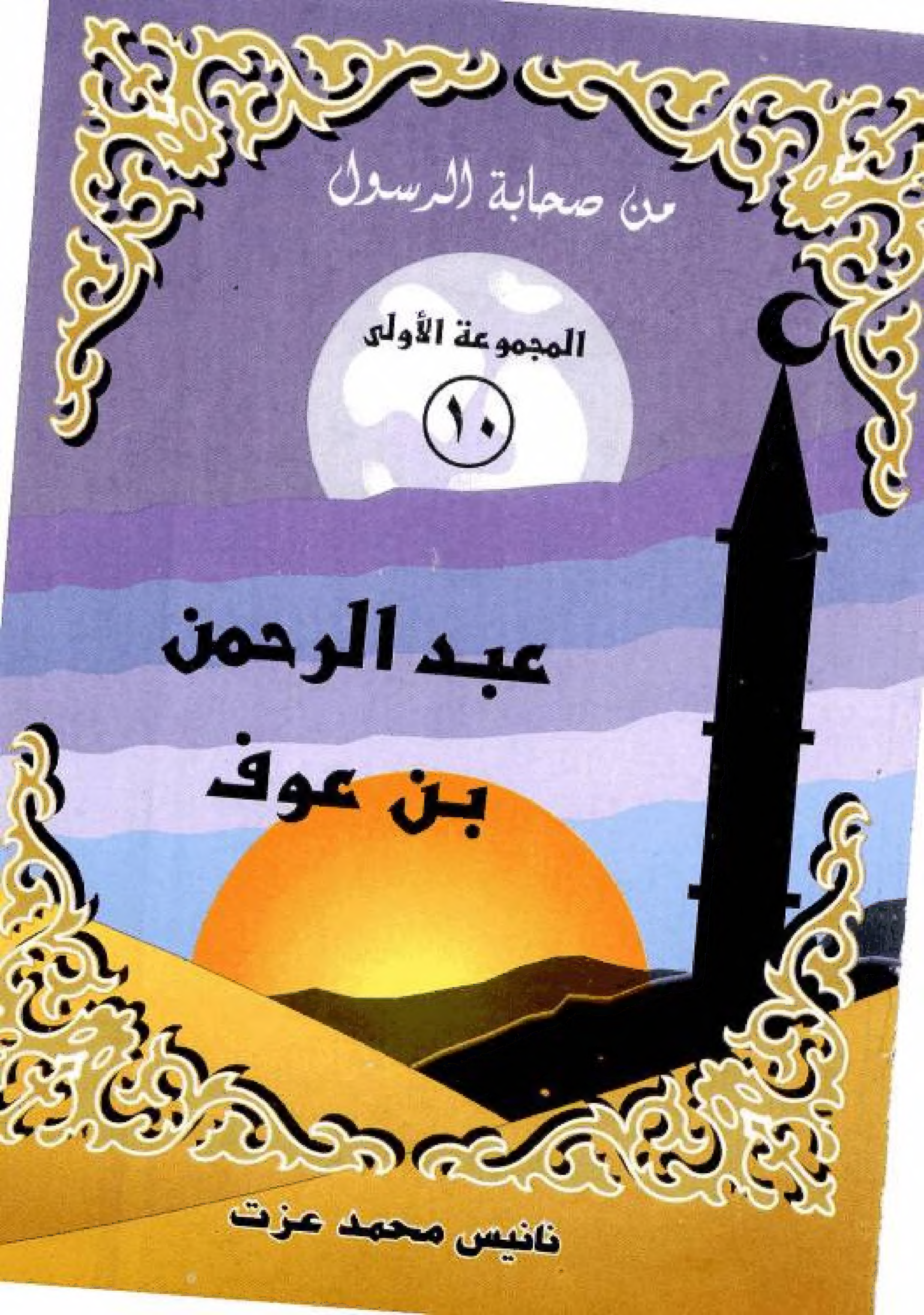

من صحابة الرسول
المجموعة الأولى
١٠
عبد الرحمن
بن عوف
نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١٠

عبد الرّحمن بن عوف

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

سعيد جودة السحار وشركاه

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

ت: ٥٩٠٨٩٢٠

عبد الرّحمن بن عوف

عِندما دخل الأُستاذُ مُحمَّدٌ الفصل ، قال لتَلاميذِه :

وقعَ اختيارُنا هذا الشَّهرَ علَى زميلِكم عادِل ، لِيوضَعَ اسمُهُ فى لَوحَةِ الشَّرفِ لِفَصلِكم .

سألَ أحمدُ مُتعجِّبا : ولماذا عادِلٌ يا أُستاذَنا ؟ فهو ليسَ الأوَّلَ فى امتحانِ هذا الشَّهْر .

قالَ الأُستاذُ مُحمَّد : أعلمُ ذلِك ، ولكِنّى رأيتُهُ يقومُ بعَملٍ نَبيل ، يُرشِّحُهُ لِنَيْلِ هذا الشَّرَف .

قالَ أحمد : وما الّذى قامَ به عادِل ؟

قالَ الأُستاذُ مُحمَّد : رأيتُ عادِلاً الأُسبوعَ الماضى ، وهو فى طريقِهِ إلى المَدرسَة ، يتصَدَّق بكُلِّ مَصروفِهِ على رَجُلٍ فَقير .

قامَ عـادِلٌ فـى مَكانِـه ، وقـالَ مُعتَرِضـا : عَفـوًا يـا أُسْتاذَنا ، فإنّى لم أكنْ أَنتظِرُ مُكافأةً على عَملى هـذا ، فقدَ قُمتُ به عِندَما رأيتُ الرَّجُلَ يتضَوَّرُ منَ الجـوع ، حينَ كانَ معى ما يَكفينى مـنَ الطَّعـامِ الّـذى أَعْطَتـهُ لى أُمّى ، فوَجدتُ أنَّ مَصروفى سَيكرنُ أفْيدَ لِلرَّجُل ، يسدُّ به حاجَتَهُ إلى الطَّعَامِ .

قالَ الأُستاذُ مُحمّد : وقد كانَ تصرُّفُك هَذا تَصرُّفًا نَبيلا ، جَعلَك تَسـتحِقُّ أن يوضَـعَ اسْمُكَ فـى لَوحَـةِ الشَّرَف .

والشَّيءُ بِالشَّيءِ يُذكَر ، فقد ذكَّرَنى سُلوكُكَ هـذا برَجُلٍ كانَ يَقـول عَنـهُ أَهـلُ المَدينَـة : إنَّ أهـلَ المَدينـةِ جَميعًا شُركاءُ لِعبْدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ فى مالِه ، فثُلُـثٌ يُقرِضُهـم ، وثُلُـثٌ يَقضى عَنهـم دُيونَهـم ، وثُلُـثٌ يَصِلُهم ويُعطيهِم .

قالَ أحمَدُ راجيًا مُتوسِّلا : هَلاّ قَصَصتَ علينا قِصَّتَهُ يا أُستاذَنا ؟ نَرجوكَ أن تَقُصَّها علينا .

قالَ الأستاذُ مُحمَّد : والدَّرسُ يا أبْنائى ؟ على كلِّ حال فَحياةُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوف ، مَليئَةٌ بِالمَواقِفِ النَّبيلَة ، ودُروسِ البَذْلِ والعَطاءِ الَّتى قد تَنتَفِعون بها فى حَياتِكُم ، ولذلك سَأَقُصُّها عليكم .

فرِحَ التَّلاميذُ وقالوا جَميعا : شُكرًا لك يا أُستاذَنا ، شُكرًا جَزيلا .

وبعدَ أن أَصغَى التَّلاميذُ وانْتبهوا ، قال لهم الأُسْتاذُ مُحمَّد : كانَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ من سادَةِ قُرَيش ، وأكثَرِهم مالا . كانَ يَعمَلُ بالتِّجارَة ، وكانَ واسِعَ الرِّزق ، ماهِرًا فى مِهنَتِه ، مَحظوظا ، حتّى إنَّه قالَ ذاتَ يَوم : « لقد رأَيتُنى لو رفَعتُ حجرًا منَ الأرض ، لوجَدتُ تحتَه فِضَّةً وذَهَبا .

ولقد أسْلمَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ علَى يَدَى أبى بَكرٍ الصِّدِّيق ، فقد كانا - هو وأبو بَكر - صَديقَيْنِ حَميمَينِ لِمُحمَّد - صلَّى اللّهُ عليه وسَلَّم - فعِندما نَزلَ علَى مُحمَّدٍ الوَحْى ، آمنَ أبو بكر ، وعرضَ أبو بَكرٍ الأمرَ على عَبدِ الرَّحمنِ فآمَنَ هو الآخَر . وبإسلامِهِ أطْلَقَ عليه النَّبىّ - صلَّى اللّه علَيه وسلَّم - اسْمَه الجَديدَ عبدَ الرَّحمَن .

سألَ حُسَين : وماذا كانْ اسمُهُ قبلَ أنْ يُسلِم ؟

قالَ الأُستاذُ مُحمَّد : كانْ يُسمَّى عبدَ عَمْرو ، فقالَ له الرَّسولُ - صلَّى اللّه علَيه وسلَّم - إنَّ الإسْلامَ نَهَى عنِ الرِّقّ والعُبودِيَّةِ لِلبَشر . وأطلقَ عَليه اسْمَه الَّذى عُرِفَ به فيما بَعد : عَبدَ الرَّحمَن .
وعلِمتْ قُريشْ بأَمرِ مُحمَّدٍ - صلَّى اللّه علَيه وسلَّم - وبأَمرِ الدِّينِ الجَديد ، فكشَّرَتْ عن أنيابِها ، وأظهرتْ

العِدَاء لمُحمَّد ـ صلّى اللّه علَيه وسلّم ـ ومن دَخَلَ معه فى دينِه ، فكانَ نَصيبُهم أفظعَ ألْوانِ العَذابِ والهَوان .

أمّا عبدُ الرَّحمنِ فكانتِ الضَّربةُ موجَّهةً إلى تِجارَتِهِ ورِزقِه ، فقصدَ إليه أبو الحَكَمِ بنُ هِشامْ ـ أبو جَهل ـ وحذَّرهُ من إكسادِ تجارَتِه ، وتَحريضِ القَبائلِ على مُقاطَعةِ قَوافِلِه التِّجارِيَّة ، حتّى يُصبِحَ فَقيرًا لا يَجِدُ ما يَسُدُّ رمَقَه .

ورَدَّ عليهِ عبدُ الرَّحمنِ بقَولِه : لقدْ بعنا كلَّ ما نملِكُ للّه ، الّذى اشترَى منَ المُؤمنينَ أنفُسَهم وأموالَهم بأنَّ لهم الجَنّة ، ونَعيمَها الّذى لا يَزول . فافعلْ ما تُريد ، وسيُعيننا اللّهُ عَليكُم بإذْنِه تَبارَكَ وتَعالَى .

وهاجَرَ عبدُ الرَّحمنِ مع مَن هاجَروا إلَى الحَبَشَة ،

ثمَّ عادَ مِنها إلى مكّةَ يَغلِبُهُ الحَنينُ إلى الرَّسول ـ صلّى اللّه علَيه وسلّم ـ ولكِنَّ الأَذى لاحَقه ، فعادَ إلى الحَبَشةِ مرَّةً أُخرَى ، ومِنها إلى المَدينَة ، الّتى فَتحتْ أَبوابَها للدّينِ الجَديد .

وآخَى الرَّسولُ ـ صلّى اللّه علَيه وسلّم ـ بينَ المُهاجِرينَ والأنْصار .

فسأَل عادِل : ومَنْ كانَ أخًا لعبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوْف ؟

قالَ الأُستاذُ مُحمَّد : آخَى الرَّسولُ ـ صلّى اللّه علَيه وسلّم ـ بينَ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوْفٍ وسَعْدِ بنِ الرَّبيع ، أحدِ سادَةِ الأَنصارِ وزُعَمائِهم .

وعرضَ سعدُ بنُ الرَّبيعِ على عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوْف ، نِصفَ مالِه ـ فعبدُ الرَّحمنِ شأْنُهُ شأنُ كُلِّ المُهاجِرينَ الّذينَ تَركوا دِيارَهُم وأَموالَهُم فى مَكّةَ ،

وفَرّوا بدينِهم صِفْرَ اليَدَيْن ـ بل إنَّ عبدَ الرَّحمنِ ترك وراءَه في مكّةَ ثروةً طائِلَة ، وتجارَةً رابِحة .

فما كانَ من عبدِ الرَّحمنِ إلاّ أن شكرَه عَلى صَنيعِه مُمتنّا ، وقالَ له : بارَكَ اللّهُ لك في أهْلِكَ ومالِك ، ولكنْ إذا أصبحتَ فدُلَّني على السُّوقِ في المَدينَة .

وخَرجَ عبدُ الرَّحمنِ إلَى السّوق ، حيثُ اشْتَرَى وباع ، وبارَكَ اللّهُ له في تِجارَتِهِ فرَبِحَ الكَثيرَ في وقْتٍ قَصير .

قالَ أحمد : هلْ خرجَ لِلتّجارَةِ بدونِ رأسِ مال ؟

قالَ الأُستاذُ مُحمَّد : نَعم ، وكانَ دائِما يَقول : إنَّ رأسَ مالى هو عَقْلى وإدْراكى وحُسنُ تصرُّفى ، وقُدرَتى على الأخْذِ والعَطاء ، واجْتِذابِ التُّجّار إلَى ناحِيَتى .

واشترَك عبدُ الرَّحمنِ في غَزوتَيْ بَدرٍ وأُحُد ، وتركتْ عَليهِ غزوةُ أُحُدٍ بَعضَ آثارِها ، فأُصيبَ فيها بعِشرينَ جُرحا ، تركَ أحَدُها عَرَجًا دائِمًا في ساقِه ، كما سقَطتْ بَعضُ ثناياه ـ أسْنانِهِ الأمامِيَّة ـ فتركتْ هتَمًا يَظهَرُ واضِحًا في أثناءِ حَديثِه . وكانتْ تِلكَ الآثارُ بمثابَةِ النّياشينِ على صَدره . وقد بشَّرَه الرَّسولُ ـ صلّى اللّه علَيه وسلّم ـ بالجَنّة ، فقال : (يا بنَ عَوفٍ إنّكَ من الأغنِياء ، وإنّكَ ستدخُلُ الجنّةَ حَبْوا ، فأقرِضِ اللّهَ يُطلِقْ لك قَدمَيْك) .

فيا لَها من بُشرَى ! ويا لَسَعادَتِه ! فلقد بشَّرَهُ الرَّسولُ بأنّه من أهلِ الجنّة ، ولكن لِماذا يَدخُلُ الجنّة حَبْوا ؟ لِماذا ؟ فليُنفِق من مالِه علَى قَدرِ ما يَستطيع ، حتّى يُطلِقَ اللّهُ ساقَيْه ، فيدخُلُها هَروَلَة .

ومنذُ تِلكَ اللّحظَةِ وهو كَثيرُ العَطاء ، كَثيرُ الإنْفاقِ

فى سَبيلِ اللّـه ، يُقـرِضُ المُحتـاج ، ويُسـاعِدُ الفَقـير ، ويُنفِقُ فى تَجهيزِ الجُيوشِ الإسْلامِيَّةِ لِنَشْرِ الإِسْلامَ فـى سائِرِ البِقاع .

فقدْ باعَ عبدُ الرَّحمنِ ذاتَ يَومٍ أرضًا له بأَربَعينَ ألفَ دينار ، فرَّقَها كُلَّها على أهلِهِ من بَنـى زُهـرَة ، وعلـى أُمَّهاتِ المُؤمِنين ، وعلى الفُقَراء .

كمـا قـدَّم ذاتَ يـومٍ آخـرَ إلى الجُيـوشِ الإسْـلامِيَّةِ خَمسَمِائَةِ فَرَس ، وذاتَ يَـومٍ ثـالِثٍ ألفًا وخَمسَـمائَةِ راحِلَة .

قالَ أحمد : ألِهَذه الدَّرجَـةِ كـانَ كثيرَ الإنْفـاقِ فـى سَبيلِ اللّه ؟

وقالَ عادِل : لا بُدَّ أنّه كانَ سَعيدًا بكَثرةِ أمْوالِـه ، وتِجارَته الرّابِحَة ، الّتى هَيّأتْ لَهُ الفُرَصَ للإنْفـاقِ فـى سَبيلِ اللّه .

قالَ الأُستاذُ محمَّد : بلْ على العكسِ من ذَلكَ تَماما ، فقد شَعر دائِما أنَّ تِلكَ الأموالَ هي الَّتي تُقيِّدُ حَركَته ، وتُبَطِّئها في طَريقِهِ إلَى الجَنَّة .

وحدثَ ذاتَ يومٍ أن جاءوهُ بطَعامِ الإفطارِ وهو صائم ، فنظرَ إلى مُختَلفِ الأَطعِمَةِ أمامَه ، فبَكى وقال : لقد استُشهِدَ كلٌّ من مُصعَبِ بنْ عُمَير ، وحَمزةَ بن عبدِ المُطَّلب ، وكِلاهُما أفْضَلُ مِنّى ، ولم يَجِدوا لَهُما كَفَنًا إلاَّ بُردَةً إذا غَطَّوْا بِها أَقدامَهُما انكشَفَ رَأساهُما . أمَّا أنا فقد بُسِطَت لى الدُّنيا ، وأُعطيتُ منها ما أُعطيت ، فأخشَى أن تكونَ قد عُجِّلت لى حَسناتى فى الدُّنيا وليسَ فى الآخِرَة .

وماتَ الرَّسول ـ صلّى اللّه علَيه وسلّم ـ وأصْبحَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ خَليفَةً للمُسلمين ، فَعاونَه عبدُ الرَّحمنِ بكُلِّ ما أُوتيَ من قُوَّةٍ ورَأيٍ ومال . ثم تَبعَه

عُمَرُ بنُ الخَطّاب ، فجعَلَ من عَبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوْفٍ مُستشارًا مُؤتَمنًا له ، يأخُذُ برأيِه في كثيرٍ من المَواقف .

وعندَ مَوتِ عُمرَ بنِ الخَطّاب ، اختارَ سِتّةَ رِجالٍ ماتَ الرَّسولُ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ وهو راضٍ عنهم ، ليتولّى أحَدُهُم الخِلافةَ من بَعدِه ، وكان عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوْفٍ أحدَهم ، ونشأَتِ الخِلافاتُ والصّراعاتُ بين المُرشّحينَ لِلخِلافَة ، كلٌّ مِنهم يَزعُم أنّهُ الأحقُّ بِها . فاقْترحَ عَليهِم عبدُ الرَّحمنِ بنَفْسٍ زاهِدَةٍ في السُّلطة ، أن يَتنازلَ عن حَقّهِ في الخِلافَة ، على أن يكونَ له الحقُّ في اختيارِ الخَليفَةِ من بينِ الخَمسَةِ الباقين .

قال أحمد : تنازلَ عن حقّهِ في الخِلافَة ، بما لها من شَرفٍ ومَنزِلَةٍ ومَكانَة ؟

قالَ الأُستاذُ مُحمَّد : كان هُمُّهُ الوَحيد ، هو تَوحيدُ صُفوفِ المُسلِمين ، وإطفاءُ نارِ الفِتنَةِ الّتى كادتْ أن تَنشَبَ بَينَهم .

وحصَرَ عبدُ الرَّحمنِ أمْرَ الخِلافةِ بين اثْنَين هُما عُثمانُ بنُ عفّانَ وعلىُّ بنُ أبى طالب ، واسْتقرَّ رأيُهُ فى الآخِرِ على عُثمانَ بنِ عفّان ، ورضِىَ الجَميعُ باخْتِياره ، ولِمَ لا ؟ وهو ذو الرَّأىِ السَّديد ، والفِكرِ البَعيد .

وظلَّ عبدُ الرَّحمنِ بجانبِ عُثمانَ بنِ عفّان ، مُستَشارًا ناصِحًا أمينا ، حتّى بلغَ الخامِسَةَ والسَّبعينَ من عُمره ، فأسرعَ - باقْتِرابِ نِهايَتِه - بالتّخلُّصِ من أمْوالِهِ لِيَدخُلَ الجَنّةَ هَروَلَةً لا حَبْوا . فأوصَى بخَمسينَ ألفَ دينارٍ فى سَبيلِ الله ، كما أَوْصَى لِكلٍّ من بَقَى مِمَّن شَهدوا بَدْرًا بأرْبَعِمِائة دينار .

وأرادتْ السَّيِّدةُ عائِشَـةُ ، زَوجُ الرَّسـولِ ـــ صلّى اللّه علَيه وسلّم ـ أن تَخُـصَّ عبدَ الرَّحمنِ بـنَ عـوفٍ بشَـرفٍ لم تَخُصَّ بـه أحَـدًا غـيرَه ، فعرَضـتْ عَليـه أن يُدفَنَ فى حُجرَتهـا إلى جِـوارِ الرَّسـولِ وأبـى بكْـرٍ وعُمَر .

ولكنَّ عبد الرَّحمنِ أبَى ، وقالَ إنَّه علـى مَوعِـدٍ مـع عثمانَ بنِ مَظعون ، فقدْ اتَّفقا إذا ماتَ أحدُهُمـا ، أنْ يُدفَنَ الآخَرُ إلى جوارِ صاحبِهِ الَّذى سبَقَه .

هنا قالَ التّلميذُ مَحمود : إنَّ عبدَ الرَّحمنِ بنَ عَوفٍ ـ فـى واقِـعِ الأمـر ـــ هـو أفضَـلُ مِثـالٍ لِلمُنفِـقِ فـى سَبيلِ اللّه ، فشكرًا لك يا أُستاذنَا علَى أن حَكَيْتَ لنـا قِصَّته .

قـالَ الأُسـتاذُ مُحمَّـد : إنَّ عبـدَ الرَّحمـنِ هـو رجُـلُ الاقتِصـادِ فـى الإسْلام ، الـذى بـاركَ اللّـهُ لـه

فى رزقِه ، والّذى انْطَبَقَ عليهِ قولُ اللّهِ تَعالى :

﴿ مَثَلُ الّذينَ يُنفِقونَ أمْوالَهُم فى سَبيلِ اللّهِ كمَثَلِ حَبَّةٍ أنْبَتتْ سَبعَ سَنابِلَ فى كُلِّ سُنبلُةٍ مائَةُ حَبَّةٍ واللّهُ يُضاعِفُ لِمَن يَشاءُ واللّهُ واسِعٌ عَليم . الّذينَ يُنفِقونَ أمْوالَهُم فى سَبيلِ اللّهِ ثُمَّ لا يُتبِعونَ ما أنْفَقوا مَنًّا ولا أذًى هم أجْرُهم عندَ ربِّهم ولا خَوفٌ عليهِم ولا هُم يَحزَنون ﴾ .